﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: 96]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الرّبط بين اتّباع ملّة إبراهيم، وتعظيم البيت الجدير بالتّعظيم

لَمَّا أمر الله تعالى اليهود في الآية السَّابقة أن يتَّبعوا ملّة إبراهيم -عليه السلام- وهي ما عليه النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون معه، وكان من ملَّتِه تعظيمُ بيت الله الحرام؛ ناسبَ ذلك ذكرُ البيت الحرام وفضله وحرمته، وخاصَّةً بعد أن عاب اليهود على المسلمين التّوجُّه إليه في صلاتهم[1]، "والدّعوة إلى الإيمان بملّة إبراهيم، هي لإيضاح أنّ جوهر الإيمان، لا يحتمل الخلاف، فركْبُ الإيمان والرّسل والأنبياء، هو ركبٌ واحد"[2].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَوَّلَ بَيْتٍ﴾: "لفظ (أوّل) في اللّغة، على الحقيقة: ابتداء الشّيء، قيل: وجائز أن يكون المبتدأ له آخر، وجائز ألا يكون له آخر، فالواحد أوّل العدد، والعدد غير متناهٍ؛ ونعيم الجنّة له أوّل، وهو غير منقطع، فجائز أن يكون قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، هو البيت الّذي لم يكن الحجّ إلى غيره"[3]، وذكر أهل اللّغة في اشتقاق (الأوّل)وهو منسوب إلى سيبويه: إنّه (أفعل)، من: آل يؤول؛ و(أولى) فعلى منه، فكأنّه (أوّل) في الأصل: أأول، فقلبت الهمزة الثّانية واوا، وأدغمت في الواو الأخرى، فقيل: أوّل[4].

2) ﴿وُضِعَ﴾: فعل ماضٍ مبنيٌّ للمفعول، من الوَضعِ، أي: بُنِي،

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/221.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 3/1622.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أوّل).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أوّل).

وأُسِّس، وأصل الوضع يدلُّ على خفض الشَّيء وحطِّه، ومنه سمِّي المكان موضعًا، وقيل: هو أعمُّ من الحطِّ؛ لإطلاقه على الخلق والإيجاد، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾﴾ [الرحمن: 10]، وعلى إبراز الشَّيءِ، نحو: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: 49][1].

3) ﴿بِبَكَّةَ﴾: اختلف العلماء في بكَّة على عدَّة أقوال، أشهرها ما يلي[2]: الأوَّل: أنَّها مكَّة نفسُها، أبدلت ميمُها باءً، وإبدال الباء من الميم وعكسه، كثير عند العرب، نحو: لازم ولازب، وراتب وراتم، وغيرهما، وقيل: هي مكَّة، لكن ليست باؤها بدلًا من ميم، بل هي من البَكِّ؛ لأنَّها تبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدُقُّها. والثَّاني: أنَّه اسم للمسجد الحرام. والثَّالث: أنَّه اسم لمكان البيت الحرام، فيقال له خصوصًا: بكَّة، ويقال لما خرج عن موضع الطَّواف: مكَّة، ويدلُّ عليه أنَّ التَّباكَّ هو الازدحام، وهو يكون في الطَّواف، أو هو من التَّباكي؛ لأنَّ النَّاس يتباكَون فيه. والرَّابع: أنَّ معناها: البلدة باللُّغة الكِلْدانيَّة، لغةِ إبراهيم عليه السلام نحو: بعلبكَّ، أي: بلدة بعل، ويكون واضعه هو إبراهيم، بنيَّة أن يكون بلدًا لولده إسماعيل عليهما السلام.

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

**أوّل بيت للعبادة في الأســـاس، هو الّـذي بمكّة موضوعًا للنّاس**

إنَّ أوَّل بيت أُقيم لعبادة الله هو البيت الحرام الَّذي بمكَّة، وهو بيت مبارك، كثيرُ المنافع الدّينيَّة والدّنيويَّة، فيه هداية للنَّاس جميعًا، و"هو قبلة المسلمين في الصّلاة والدّعاء، وإليه تتّجه أنظارهم، وتهفو قلوبهم، أوّل بيت وضع معبدا للنّاس، وأسس لذكر الله فيه، وهذه الأوليّة في الزّمان، يلزمها الأوليّة في الشّرف والمكانة"[3].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**بلاغةُ توكيدِ الكلامِ في قولِه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ أُكِّدت فيه النِّسبة بتوكيدَين، هما: إنَّ، واللَّام، ولهذا التَّوكيدِ توجيهان:

الأوّل: أنَّه لمَّا عاب اليهود على المسلمين استقبال البيت الحرام

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرَّاغب، المفردات: (وضع).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/474، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 3/259، والتَّحرير والتَّنوير: 4/12.
(3) الحجازيّ، التّفسير الواضح، ص: 256.

في الصَّلاة - بعد أن كانوا يستقبلون المسجد الأقصى - ردَّ الله تعالى عليهم عيبَهم؛ بتأكيد أنَّ البيت الحرام هو أوَّل بيت وُضِع للنَّاس، وأنَّه من شعائر إبراهيم عليه السلام الَّتي كفر اليهود بتركها[1]، فهو ردٌّ عليهم وإلقامُهم الحجرَ، إذ إنَّ الأوليَّة أصلٌ متبوعٌ لا تابعٌ، وحسُنَ التَّوكيدُ لبيانِ ما يجولُ في نفوسِ المُنكرين والمُتشكِّكين.

الأولـيَّـةُ أصـلٌ متبوعٌ لا تابعٌ؛ ومَنْ عَكسَ فقد انتكَسَ

الثَّاني: إنَّ التَّأكيد في الآية إنَّما هو لمجرَّد الاهتمام، وأنَّ ﴿إِنَّ﴾ وما بعدها واقعة موقعَ التَّعليل للأمر الإلهيِّ المتقدِّم في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، فـ ﴿إِنَّ﴾هنا: كفاء التَّفريع من حيث إفادتُها للرَّبط بين الجملتين[2]، "وَبَيَانُ وَجْهِ التَّعْلِيلِ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ لَمَّا كَانَ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلْهُدَى وَإِعْلَانِ تَوْحِيدِ اللَّهِ لِيَكُونَ عَلَمًا مَشْهُودًا بِالْحِسِّ عَلَى مَعْنَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَنَفْيِ الْإِشْرَاكِ، فَقَدْ كَانَ جَامِعًا لِدَلَائِلِ الْحَنِيفِيَّةِ، فَإِذَا ثَبَتَ لَهُ شَرَفُ الْأَوَّلِيَّةِ وَدَوَامُ الْحُرْمَةِ عَلَى مَمَرِّ الْعُصُورِ، دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْهَيَاكِلِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي نَشَأَتْ بعده، وَهُوَ مائل، كَانَ ذَلِكَ دَلَالَةً إِلَهِيَّةً عَلَى أَنَّهُ بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الدِّينَ الَّذِي قَارَنَ إِقَامَتَهُ هُوَ الدِّينُ الْمُرَادُ لله، وَهَذَا يؤول إِلَى مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: 19]"[3].

الاهتمامُ بأوليَّةِ البيتِ وجعله تعليلًا لاتِّباعِ إبراهيم

**توجيهُ المخصوصِ بذكرِ الأوَّليَّة في قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾:**

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ فُضِّل البيت الحرام بكونه أوَّل بيتٍ أُسِّس لعبادة الله؛ لأنَّ مواضع العبادة؛ وإن كانت سواءً من جهة العبادة نفسها إلا أنَّها تتفاضل بطول الزَّمن المتعبَّد لله فيها، وكذلك بنسبتها لواضعها وبانيها، وحُسْن قصده فيها، وقد جمع البيت الحرامُ كلَّ هذه المزايا[4].

الأولـيَّـةُ تـدلُّ عـلى الـرُّسـوخِ والأصـالـةِ والفضْلِ

(1) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 5/5.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/11.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/11 - 12.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/15.

**دلالةُ البناءِ للمفعولِ في: ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾:**

الإشارةُ إلى أنَّ وضعَ البيتِ كان قبل إبراهيم عليه السلام

جاء فعلُ ﴿وُضِعَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ مبنيًّا للمفعول، ولم يُسمَّ الفاعلُ الذي وضعَ البيتَ، إشارةً إلى أنَّ البيت الحرام قد وُضع قبل إبراهيم عليه السلام وأنَّ الَّذي قام إبراهيم به هو رفعُ القواعد[1].

كما أنَّ في حذف الفاعل وبناء ﴿وُضِعَ﴾ للمفعول أيضًا إشعارًا بإجلال واضع البيت وتعظيمِه؛ إذ الفاعل قد يُحذف من الكلام تعظيمًا له وتبجيلًا[2].

**فائدةُ التعريفِ بالموصوليَّةِ في قولِه: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾:**

تعظيمُ البيتِ وتفخيمُه وتضمينُ الموصولِ معنى الإشارةِ

قوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ عُرِّف فيه البيت الحرام بالموصوليَّة، وتُرِك غيره من الأسماء كالكعبة الذي صار علَمًا بالغلَبة عليه، ووجه ذلك أنَّ التعريف بالموصوليَّة أقرب في تعيين البيت الحرام للسَّامعين؛ إذ لم يكن في مكَّة عند نزول الآية بيت للعبادة غيرَ البيت الحرام، أمَّا الكعبة؛ فقد أُطلقت في الجاهليَّة على غير البيت الحرام، كالكعبة اليمانيَّة والكعبة الشاميَّة اللتين بناهما بعض العرب الجاهليِّين قبل الإسلام[3].

كما أنَّ التعريف بالموصوليَّة أفاد تفخيم المعرَّف بالصِّلة، وهو البيت؛ إذ قد اكتُفي في تعيينه بأنَّه هو الَّذي بمكَّة، وهي أشرف البقاع يومئذ[4]، وكذلك أفاد الاسمُ الموصولُ معنى الإشارةِ، فكأنَّه قيل: ذلك الذي تعرفونه ببكةَ، فهو المعروفُ في أذهانِكم وعلمِكم ورأتْه عيونُكم.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/268، والبقاعيُّ، نظم الدرر: 5/6.
(2) الطيبيُّ، فتوح الغيب: 4/186.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/13.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 2/60.

### دلالة اختيار لفظ بكَّة دون غيرها من الألفاظِ:

مناسبة الاسم الأول لمكَّة عند ذكر أوَّليَّة بناء البيت

في اختيارِ هذا الاسمِ في خصوصِ هذا السِّياقِ وهو التَّصريحُ بالأوليَّةِ، إشارةٌ إلى أن (بكة) هو الاسم الأوَّلُ لهذا البيت، ويظهر أنَّ لاتحادِّ الباء والميم في المخرجِ، وسهولَةِ جريانِ الميم على الألسنِ؛ أصبحت مكة، وفيه إعجاز غيبيٌّ في الإشارةِ إلى الاسمِ القديمِ لهذا البيتِ، ومن بابِ الاستئناس فإنَّ (بكَّة) في اللُّغة الكِلْدانيَّة - لغة إبراهيم عليه السلام - تعني: البلدة، كما في حكاية القرآن عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: 91]، وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35][1].

### نكتةُ المجازِ بالحذف في قولِه: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

مـن حـادَ عن البيتِ حادَ عن الهدايةِ وسقطَ في الغوايةِ

في وصف البيت الحرام بأنَّه ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ مجاز؛ إذ جُعِل البيت لما يتضمَّنه من آيات بيِّنات وهدًى للناس، كأنَّه هو الهدى نفسه، فـ: ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: ذا هدًى، فهو مجاز بالحذف، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: 82]، أي: أهلَها[2]، ونكتتُه أنَّ من حادَ عنه في القبلةِ واتِّباعِ ملَّةٍ من رفعَ قواعدَه فهو الضَّالُّ المُفصِحُ عن ضلالتِه، والمُبيِّنُ لآفةِ خسارتِه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/13.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/475.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»